الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١٦–١٨؛ ٧: ١)

يا إخوةُ أنتم هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قالَ اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيُر فيما بينهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً* فلذلك اخرُجوا من بينهم واعتزلوا يقولُ الربُّ ولا تَمَسُّوا نجساً* فأقبَلُكم وأكونُ لكم أباً وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاءُ فلنُطهِّر أنفسَنا من كلِّ أدناسِ الجسدِ والروحِ ونكمِّلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٥: ١–١١)

في ذلك الزمان فيما يسوع واقفٌ عند بحيرة جَنّيسارَتْ رأى سفينتين واقفتَين عند شاطئ البحيرة وقد انحدر منهما الصيَّادون يَغسلون الشباك* فدخل إحدى السفينتين

الصيد

أخذت صورة صيد السمك في العهد الجديد مكانًا مميّزًا، وارتبطت بالكرازة بالإنجيل، بالبشرى السارّة بالخلاص. هذا عائد إلى أنّ الربّ يسوع اختار غالبيّة تلاميذه من صيّادي السمك، واستعمل صورة الصيّد هذه حتّى يفهم تلاميذه ما يريد منهم. لقد استعمل الربّ يسوع لغةً وصوراً يفهمها الناس في أيّامه لأنّها من صلب حياتهم، والصيّد في مناطقنا الساحليّة كان ولم يزل مصدر رزق أساسيّ لسكّانها، وهم أنفسهم يستعملون لغة الصيد في حياتهم اليوميّة.

لقد أعطى الربّ صورة الصيد بعدًا آخر عندما دعا تلاميذه ليكونوا صيّادي الناس: «وإذ كان يسوع ماشيًا عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذي يُقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فإنّهما كانا صيّادَين. فقال لهما هلمّ ورائي فأجعلكما صيّادَي النّاس» (مت٤: ١٨–١٩).

إذا تأمّلنا في هذه المهنة نستخلص بعض عناصرها التي أراد الربّ أن يأخذها التلاميذ بعين الاعتبار عند تبشيرهم بالإنجيل.

يقوم صيد السمك على عدّة أمور تتضافر معًا للحصول على وفرة من السمك؛ فعلى الصيّاد أوّلاً أن يُعدَّ شباكه، ثمّ يحدّد مراعي السمك حيث تتجمّع قطعانها بأعداد وافرة، وبعد ذلك ينتظر الوقت الملائم للملاحة ليمدّ شباكه فيأخذ السمك على حين غرّة، إذ يجذب شباكه في الوقت المناسب ويجمع أكبر كمية من السمك. مع هذا كلّه، لا يمكن للصيّاد أن يضمن النتيجة، بالرغم من توقّعاته. فمرّة يُوفّق في صيده فيجمع عددًا هائلاً من السمك، وقد يؤدّي الأمر في بعض الأحيان إلى تمزّق الشباك، ومرّة أخرى يعود من صيده خالي الوفاض.

هذه الصورة تنطبق بامتياز على البشارة، فالمبشّر يعدّ الشبكة التي هي كلمة الله، ويحدّد الأماكن التي يتجمّع فيها الناس لكي يقتاتوا، والقوت هنا هو المعرفة، أكانت الدينيّة أم الدنيويّة. لقد كان التلاميذ يختارون المجامع اليهوديّة حيث كان اليهود يجتمعون لسماع كلمة الله، أو الأروقة اليونانيّة حيث كان الناس يجتمعون لسماع الفلاسفة ويتناقشون في أمور الحياة، أو حتّى في الساحات العامة في المدن الرومانيّة حيث كان يأتي أنبياء أو معلّمون أو مَن

العدد ٢٠١٥/٣٩

الأحد ٢٧ أيلول

تذكار القديس الشهيد كليستراتس ورفقته

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

يتمتعون بنعمة الرؤيا فيجتمع حولهم الناس لسماع تعليمهم. فيلقون الكلمة على مسامع الناس منتظرين فعلها في أنفسهم، وكانت النتيجة متفاوتة: عندما سمع اليهود المجتمعون في عيد العنصرة كلام الرسول بطرس آمن كثيرون منهم (أع٢: ١-٤١)، أمّا عندما سمع الوثنيّون كلام الرسول بولس في أريوس باغوس فلم يعيروه اهتمامًا وآمن بسبب كلامه قلّة منهم فقط (أع١٧: ١٨-٣٣).

انطلاقًا من حادثة الصيد العجيب التي تُقرأ على مسامعنا في هذا اليوم (لو٥: ١-١١)، يُضاف عنصر أساسيّ هو أنّ الصيد يصير بأمر من الربّ، وعلى التلميذ أن يطيعه. لقد وعى الرسل هذا الأمر حتّى أنّ الرسول بولس عبّر عن ذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «لأنّه إن كنت أبشّر فليس لي فخرٌ إذ الضرورة موضوعةٌ عليّ، فويل لي إن كنتُ لا أبشّر. فإنّه إن كنت أفعل هذا طوعًا فلي أجرٌ، ولكن إن كان كرهًا فقد استؤمنتُ على وكالة» (١كور٩: ١٦-١٧). كذلك الأمر بالنسبة لنتيجة البشارة، إذ يستخدم صورة الزرع بدل صورة الصيد: «أنا غرستُ وأبلّوس سقى ولكن الله ينمّي» (١كور٣: ٦). فعلى المبشّر القيام بعمله التبشيري، ملقيًا شباك الكرازة، والله بكلمته يجذب الناس إليه فيصطادهم: «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل ما سُررتُ به وتنجح في ما أرسلتها له» (إش٥٥: ١١).

كيف يمكن أن تعنينا اليوم حادثة الصيد العجيب، خاصّة أنّ معظمنا ليس ممّن عيّنتهم الكنيسة للتبشير بكلمة الله؟ هل التبشير مقتصر على التعليم بالكلمة؟ أم هل هناك طرق أخرى للتبشير؟ ليست البشارة بالكلمة السبيل الوحيد إلى نقل كلمة الله، بل هناك طرق أخرى. وإن كانت البشارة بالكلام مقتصرة على فئة معيّنة من المؤمنين، فإن عيش كلمة الله، الذي هو من الطرق الأخرى للبشارة، يشمل الجميع، وهو أمضى حدًّا من الكلام. والمقصود بعيش كلمة الله هو السلوك بحسب وصيّة الرّب التي هي المحبّة، محبّة القريب المحتاج. وقد عبّر الرسول يعقوب في رسالته عن ذلك بربطه الإيمان بعمل المحبّة التي تظهر الإيمان الحقيقي: «ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحدٌ إنّ له إيمانًا ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلّصه؟ إن كان أخٌ أو أختٌ عريانَين ومعتازَين للقوت اليوميّ، فقال لهما أحدكم امضيا بسلام واستدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة. هكذا الإيمان أيضًا إن لم يكن له أعمال ميتٌ في ذاته» (يع٢: ١٤-١٧).

إن السلوك بحسب وصايا الله، التي تُختصر بمحبّة القريب المحتاج، كما ذكرنا، هو بحدّ ذاته كرازة بالإنجيل. لأنّ المؤمن ينقل بهذه الطريقة صورة الربّ يسوع الحقيقيّة، ويدرك من ينظره أنّه فعلاً تلميذ للربّ يسوع الذي بذل نفسه عنّا لأنّه أحبّنا، ودعانا أن نعمل مثله: «وصيّة جديدة أنا أعطيكم أن تحبّوا بعضكم بعضًا. كما أحببتكم أنا تحبّون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا. بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إن كان لكم حبٌّ بعضًا لبعض» (يو١٣: ٣٤-٣٥). كما أنّنا بحفظنا لوصاياه نصير أهله: «ثمّ مدّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمّي وإخوتي. لأنّ من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمّي» (مت١٢: ٤٩-٥٠)، وقد ماهى نفسه بنا: «من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني وكانت لسمعانَ وسألهُ أن يتباعدَ قليلًا عنِ البَرِّ وجلس يعلّم الجموعَ من السفينة* ولمّا فَرَغَ من الكلام قال لسمعانَ تَقَدَّمْ إلى العُمقِ وأَلقوا شباكَكم للصيد* فأجاب سمعانُ وقال له يا معلّمُ إنَّا قد تعِبنا الليلَ كلَّهُ ولم نُصِبْ شيئاً ولكن بكلمتك أُلقي الشبكة* فلمَّا فعلوا ذلك احتازوا من السمك شيئاً كثيراً حتى تخرَّقَتْ شبكتهم* فأشاروا إلى شركائِهم في السفينة الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا السفينتين حتى كادتا تغرقان* فلمَّا رأى ذلك سمعانُ بطرس خرَّ عند رُكبَتَيْ يسوعَ قائلاً اخرُج عنّي يا ربُّ فإنّي رجلٌ خاطئٌ* لأنَّ الإنذهالَ اعتراهُ هو وكلَّ مَن معه لصيد السمك الذي أصابوه* وكذلك يعقوبُ ويوحنَّا ابنا زبدى اللذان كانا رفيقَين لسمعان. فقال يسوع لسمعانَ لا تَخَفْ فإنَّك مِنَ الآن تكونُ صائداً للناس* فلمّا بلغوا بالسفينتَين إلى البَرّ تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوه.

تأمل

«ولكن بكلمتك أُلقي الشبكة».

إنها لعظيمة قوة الاتكال على الله. إنها سور منيع، وجدار لا يُهدم، وعون لا يُغلب، وميناء هادئ، وحصن ثابت، وسلاح لا يُصَدّ، وقوة لا تُحارب. هي تشق الطريق لنفسها في الأماكن الوعرة المسالك، وبها ينتصر العُزَّل من السلاح على الغزاة المدججين به. بها تغلب النساء الرجال، وبها يُظهر الأولاد حذاقتهم في الحرب، وتندحر أمامهم بسهولة الجنود المدرّبة، فهل يُستغرب بأنهم انتصروا باتكالهم على الله على أعدائهم في كل مكان؟ ان العناصر تنسى طبيعتها أمامهم وتتحوّل إلى منفعتهم. والوحوش لا تكون وحوشاً، ولا النار ناراً، لأن الإتكال على الله يُصلح الجميع. فالسنان الحادة، والسجون الضيقة، والشراسة الطبيعية، والجوع المميت، وأفواه الوحوش الموجهة نحو المؤمنين بالله لا تؤثر فيهم، لأن قوة الإتكال على الله أقوى من كل أزمة وشدة، فهي التي تسد أفواه الوحوش وترجعها إلى الوراء.

ان داود النبي مرنم المزامير كان عالماً بقوة اتكاله على الله لما قال للذين أشاروا عليه بالإبتعاد والهرب إلى الأماكن الأمينة ليجد فيها الخلاص: لماذا يقبل الذي أرسلني» (مت١٠: ٤٠).

المطلوب إذًا منّا اليوم هو أن نمتهن الصيد، صيد الناس، من خلال سماعنا لأوامر الله والعيش وفقها، فنلقي شباكنا «على كلمته» وننتظر فعلها، إذ إنّ كلمة الله لا تعود فارغة. وكل يوم نطبّق فيه وصايا الله تزداد خبرتنا في هذه المهنة، فنثبت في الربّ ونجذب الناس إليه، ليس بقدرتنا البشريّة بل بقوّته التي تعمل فينا. كما أنّنا نقوم بذلك لأنّنا ندرك أن عنده وحده الحياة الأبديّة: «كما أنّ الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضًا إن لم تثبتوا في. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير. لأنّكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو١٥: ٤–٥)، «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه. فقال يسوع للإثني عشر ألعلّكم أنتم أيضًا تريدون أن تمضوا. فأجابه سمعان بطرس يا ربّ إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبديّة عندك، ونحن قد آمنّا وعرفنا أنّك أنت المسيح ابن الله الحي» (يو٦: ٦٦–٦٨).

الليتورجيا والعقيدة

يقول القديس كبريانوس القرطاجي: «الليتورجيا تتفق والعقيدة، والعقيدة تتفق والليتورجيا». ذلك ان الكنيسة وعت منذ نشأتها وانطلاقها في رسالة البشارة التي أوكلها بها الرب، ان المكان أو الوسيلة الأفضل لتعليم الإيمان هو في الخِدَم الليتورجية من خلال التراتيل والصلوات التي تُتلى. حتى ان تعليم الموعوظين (أي الذين يتهيأون للمعمودية) كان يتم في الليتورجيا، في القداس الإلهي تحديداً.

من هنا، فإن مَن يريد أن يعرف تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية عليه أن يقرأ ترانيم الكنيسة ويشترك في خِدمها الإلهية. هذه الترانيم والصلوات تحمل كمًّا هائلًا من العقائد الأساسية في الكنيسة. فقيامة المسيح تُعلَن مساء السبت في صلاة الغروب وصباح الأحد في صلاة السَحَر: «لنسبّح بأقوال التماجيد المسيح عنصر خلاصنا. لأنه بنهوضه من الأموات خلّص العالم من الضلالة...» (من قطع الغروب باللحن الخامس). كما تعلن الكنيسة إيمانها بتجسد ابن الله من العذراء، وبطبيعتي المسيح المتجسد: «ان مَلِك السموات لأجل مودته للبشر، على الأرض ظهر ومع الناس تصرّف، لأنه اتخذ من العذراء الطاهرة جسداً، ومنها وَرَدَ مع الجسد المأخوذ، وهو ابن واحد مثنىً بالطبع وليس مثنىً بالأقنوم. لذلك نعترف كارزين بالحقيقة ان المسيح إلهنا هو إله تام وإنسان تام. فإليه توسلي يا أماً لا عروس لها ان يرحم نفوسنا» (من صلاة غروب اللحن الثامن).

قد تكون مشاركة المؤمنين في صلوات السَحَر والغروب للآحاد وأعياد الرب يسوع ووالدة الإله والقديسين، مشاركة ضئيلة. لكن معظم المؤمنين يشتركون في خدمة القداس الإلهي الذي تحمل ترانيمه تعاليم عقائدية مهمة. على سبيل المثال إن ترنيمة «بشفاعة والدة الإله يا مخلّص خلّصنا» تحمل في طياتها ثلاث عقائد أساسية: شفاعة والدة الإله والقديسين، العذراء مريم هي والدة الإله، والرب يسوع هو وحده المخلّص.

في هذه الترنيمة نطلب شفاعة العذراء مريم لكي يخلّصنا الرب يسوع. فالعذراء مريم والقديسون يتشفعون بنا أمام الرب، يرفعون صلواتنا إليه لكي يخلّصنا هو وحده

وليس غيره. هناك مَن يحاولون التشويش على إيماننا بعقيدة الشفاعة فيقولون لنا انه لا يوجد وسيط بين الله والبشر سوى الرب يسوع ويستندون بذلك على قول الرسول بولس: «لأنه يوجد إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (١ تيمو ٢: ٥). لكن هؤلاء لا يتابعون النص حيث يوضح الرسول بولس عن أية وساطة يتكلم. يقول: «الذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع» (١ تيمو ٢: ٦). إذاً، الوساطة هنا هي الفداء الذي قام به الرب يسوع على الصليب. وهذه لا يمكن لأحد أن يحل مكانه فيها أو ينتزعها منه. هو وحده الوسيط الفادي الذي قدّم ذاته ذبيحة على الصليب لأجل خلاصنا. المسيح هو الوسيط الوحيد، لكن القديسين هم مجارٍ حية بها تتدفق نعمة الفاديّ الوحيد، على المؤمنين إخوانهم. ان شفاعة القديسين تستمد حقيقتها من الشركة التي تجمع المؤمنين أعضاء جسد المسيح. فكما ان الأعضاء تخدم بعضها البعض في وحدة الجسد (١ كو ١٢)، هكذا المؤمنون بالصلاة، كما كتب الرسول يعقوب: «ان طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (٥: ١٦).

العذراء مريم صارت أمّنا لأنها ولدت المسيح الذي ارتضى أن يصير بجسده أخاً لكل واحد منا، ولأنّها أمنا تنظر إلى حاجاتنا وترفعها إلى السيد، لذلك تدعى بحق الشفيعة الحارة وملجأ العالم. هي أيضاً تُدعى بحق «والدة الإله». هذه العبارة أقرها المجمع المسكوني الثالث (أفسس، عام ٤٣١) في معرض رده على الهرطوقي نسطوريوس الذي قال ان ابن الله لا يمكن أن يولد بشرياً، وان الطبيعة الإلهية لا يمكن أن تولد من امرأة، وبالتالي فإن العذراء ليست والدة الإله. هذا كلام خطير فيه رفض لكون ابن الله هو ابن الإنسان. ونحن نؤمن ان المسيح هو الإله المتجسد، المولود من العذراء هو الله في إيماننا.

أخيراً، ترنيمة بشفاعة والدة الإله تعلن أن المخلّص هو الرب يسوع وحده. ألم تكن هذه صفته عندما بشَّر الملاكُ القديسَ يوسف بولادة الرب يسوع: «فستلدُ ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم» (متى١: ٢١). ومَن يستطيع أن يخلّص ويغفر الخطايا إلا الله وحده. لذا فإن الرب يسوع هو الله الإبن، المساوي للآب في الجوهر.

ما شرحنا أعلاه ليس إلا عيّنة صغيرة من التعليم العقائدي الذي تحمله تراتيلنا الكنسيّة. فلنقرأها بتمعن لنتعلّم منها الكثير من أجل خلاص نفوسنا.

اليوبيل الفضي

برعاية سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس وبمناسبة عيد القديس رومانوس والذكرى الخامسة والعشرين (أي اليوبيل الفضي) لتأسيس مدرسة القديس كوارتس الرسول للتنشئة اللاهوتية تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة والنصف من مساء الأربعاء ٣٠ أيلول ٢٠١٥ في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

ومع هذه الصلاة تنطلق الدراسة في هذه المدرسة ومدرسة الموسيقى الكنسيَّة وجوقة الأطفال في الأبرشية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

تقولون لي هذا وأنا على الله اتكل؟ ماذا أقول أنا؟ مَلِكُ المسكونة هو عوني، هو الذي يفعل بسهولة ما يشاء دائماً، هو قائدي وناصري! أما أنت فتوجهني إلى الأماكن المقفرة، وتنصحني أن أفتش عن المأوى الأمين فيها. لماذا تجبرني على الهرب كمن لا سلاح له، وأنا مسلّح بأكمل عدة؟. أنت لا تشير بالهرب إلى البرية على المُعَدَّة جيوشه للحرب، والمحاط بالأسوار المنيعة، وعنده العتاد الكثير. لِمَ تشير علي أنا الذي معي مَلِكُ الكل أن أفزع إلى الجبال وأهرب من أمام الخطأة؟ ثم إذا كان الله يساعد الخطأة الساقطين ولا يعرّض للهلاك النهائي مَن يشبه الطيور الوجلة الضعيفة، فهل يتركني أنا المتكل عليه؟ وإذا كان عدوّ الملِك الأرضي معرّضاً للخطر دائماً، ويرتعد ويخاف أينما ذهب، فكم بالحري عدوّ الله الذي يعاديه الجميع، حتى الطبيعة نفسها تكون من أعدائه، وإذا كانت العناصر والوحوش والمخلوقات تهاب أصدقاء الله فالطبيعة الجامدة أيضاً تتسلّح وتثور ضد أعداء الله ومعانديه!

القديس يوحنا الذهبي الفم